(الفصل التاسع عشر)
"للقدر حساباته"

رن هاتف الشيخ حامد فأجاب على الفور ثم قال محدثًا الطرف الآخر على الهاتف:

- **عظيم، هذا هو المطلوب، حسنًا، ليبقى الوضع على ما هو عليه حتى نلتقي صباح الغد.**

أغلق الهاتف وهو ينظر بتمعن إلى وجهي الثنائي المتشوقان لمعرفة ما حدث، ثم ابتسم فى ثقة قائلًا:

- **لقد تم طهي طبختنا على نار هادئة؛ حتى نضجت تمامًا فحان موعد تناولها ساخنة.**

ففهما مقصده وما يرمي إليه؛ فعلق نور الدين متسائلًا:

- **أخبرنا بالتفاصيل يا والدي فضلًا.**
- **لقد أخبرني أحد رجالي بأن المختل يريد مقابلتي، كما أنه مستعد لتنفيذ كل ما أريده منه؛ فلقد بلغ منه الرعب مبلغ الموت، يرتعد رعبًا؛ لذا سأذهب إليه غدًا لأنهي هذا الأمر.**

ثم نظر إلى ناردين في حنان قائلًا:

- **وبعد ذلك ستصبحين في أمان يا بنيتي، لن يستطيع هذا المختل الاقتراب منكِ أو أذيتكِ أو أذية أي أحد من طرفك مطلقًا.**

فعانقته على الفور وبصوت باكٍ قالت:

- **شكرًا يا أبي، أنت بالفعل أبي؛ فهذا ما أشعره تجاهك، أدامك الله لنا أمانًا وسندًا.**

فدمعت عينا الشيخ حامد فور سماعه هذه الكلمات الرقيقة، التي اخترقت نسيج قلبه بصدقها، ثم قال:

- **وأنتِ ونور الدين أبنائي حقًّا؛ لقد منحتماني عمرًا جديدًا عندما تعرفت إليكما. مُحِيت وحدتي وحلت محلها حبكما لي وحبي لكما؛ فأصبحتما أبنائي اللذين حرمت منهم لسنوات؛ لذلك أنا على أتم استعداد لتقديم حياتي ثمنًا لسعادتكما.**

فقام نور الدين هو الآخر، بعناق الشيخ، وكانت لحظات حانية مليئة بالكثير والكثير من المشاعر الجميلة.

في صباح اليوم التالي، غادر الشيخ حامد إلى الجبل؛ ليلتقي جلال ويحسم الأمر، فور وصوله إلى بوابة المغارة، قام رجاله بإطلاق عدة أعيرة نارية في الهواء؛ ترحيبًا بقدومه، فلما سمع جلال دويها انتفض رعبًا، كان على نفس الحالة التي تركه عليها الشيخ حامد بالأمس، معصوب العينين، ومقيد

الأرجل والأيدي؛ فسلم الشيخ على رجاله شاكرًا لهم ترحيبهم، ثم بصوت حاد وجاد أثناء وقوفه على بوابة المغارة تحدث قائلًا:

-ها، كيف حال ضيفنا؟

فأجابه أحد الرجال:

-ها هو بخير والشكر لله، لقد التزم الصديق بكل القوانين؛ فأنقذ روحه حتى الآن.

فابتسم الشيخ في دهاء، ثم غمز بإحدى عينيه لرجاله وهو يقول:

-عظيم، والآن، فلنذهب لنخبر ضيفنا بما نريده منه، والباقي يتوقف عليه هو، فإما أن ينجو بنفسه،وإما أن يخط بيديه شهادة وفاته.

أنصت جلال إلى الحوار الدائر؛ فازداد هلعًا، ثم حدث نفسه قائلًا:

- مهلًا، لأنجو أولًا من هنا؛ قسمًا لن أرحم كل من ساهم في هذه المؤامرة.

ثم انتبه على وقع خطوات أقدام الشيخ حامد المتجهة نحوه في بطء، حتى خمدت تلك الأصوات، اقترب الشيخ من وجه جلال وبصوته الجاد المرعب تحدث قائلًا:

-أتمنى أن تكون ضيافتنا قد أعجبتك أم أن هناك شيئًا لم يعجبك في الاستضافة يا ترى؟

فأجابه جلال على الفور بصوت مرتجف وهو يتحسس اتجاه الصوت بينما يتراجع للخلف برأسه في خوف قائلًا:

- كلا، فالأمر على ما يرام.

فضحك الشيخ ثم قال:

- **حسنًا، لنأتي الآن إلى الجزء المهم من الأمر، ألا هو سبب وجودك هنا وماذا نريد منك، وما تبقى يتوقف عليك.**

فرد جلال وبنفس الصوت المرتبك المرتجف متلجلجًا:

- **سأفعل كل ما تريده، أقسم لك، ولكن أرجوك دعني أعيش، دعني أغادر من هنا، أطلق سراحي.**

فرد الشيخ حامد في جدية قائلًا:

- **حسنًا، لنرى، والآن، أولًا، سوف أخبرك بسبب وجودك هنا وهو ناردين، هل تعرفها؟**

فأجابه جلال في اندهاش:

- **ناردين!**

فرد الشيخ في حزم قائلًا:

-أجل، طليقتك ألا تعرفها؟

فأجابه جلال متسائلًا:

- وهل تعرف أنت ناردين؟ وما علاقتها بهذا الأمر؟

فقاطعه الشيخ بصوت غاضب وأكثر حزمًا قائلًا:

- احذر، بقي لك سؤال آخر كهذا وتنتهي حياتك.

فارتعد جلال رعبًا ثم في فزع قال:

-عفوًا، عفوًا، لكن ما الذي تريده مني؟

- ستبتعد عن ناردين نهائيًا، ولن تمسها بسوء، لا هي، ولا أحد ممن حولها، هل فهمت؟ وإلا سوف تجد رصاصة واحدة تخترق رأسك الجميل هذا في ثوان أينما كنت.

فرد جلال فزعًا:

- حسنًا، حسنًا، أعدك، لن أقترب منها أبدًا، ولا من أي أحد ممن حولها.

- عظيم، والآن، توقع على هذا الشيك، وهو شيك لحامله بقيمة عشرة ملايين جنيهًا.

فصعق "جلال" ثم رد مندهشًا:

- كم؟ فهذا مبلغ كبير للغاية، يفوق قدراتي، لن أستطيع الحصول عليه.

فرد الشيخ مقاطعًا إياه في حزم قائلًا:

- اسمعني جيدًا، فإما أن توقع على هذا الشيك، وإما أن توقع على شهادة وفاتك، الخيار لك، أنا لا أريد أموالك القذرة تلك؛ فهذا الشيك سوف يظهر في حالة اقترابك ولو من بعيد من ناردين أو من أي أحد ممن حولها، هذا بخلاف الرصاصة التي ستخترق رأسك في لمح البصر.

فرد في فزع قائلًا:

- حسنًا، حسنًا، سأوقع، ولكن أرجوك اتركني أغادر.

- اتفقنا، لكنك ستبقى هنا، إلى أن نقرر نحن متى نطلق سراحك.

تركه وغادر المغارة، وفي الخارج أعطى الشيك لأحد رجاله الملثمين وطلب منه أن يدخل؛ ليجعل جلال يوقع عليه حتى لا يتعرف جلال وجهه. انتظر بالخارج؛ فدخل الرجل الملثم وفك أيدي جلال، والعصبة التي على عينيه وهو مصوبًا إليه السلاح؛ فأمره بأن يوقع على الشيك، ثم أعاد وثاقه مرة أخرى، وخرج إلى الشيخ فناوله الشيك الذي تفحصه بتمعن؛ ليتحقق من سلامة التوقيع، فابتسم في ظفر متمتمًا:

- **حسنًا، كل شي على ما يرام.**

ثم نظر إلى رجاله، قائلًا:

- **والآن، سوف ننفذ الجزء الأخير من الخطة، بعد أن أغادر؛ تفكون وثاقه ووثاق رجاله بالمغارة المجاورة له، ثم تحضرون لهم الطعام بعد أن تتوعدوهم بأن من يخرج من المغارة سوف يقتل في الحال، ثم تختفون تمامًا تاركين إياهم بالمغارات على اعتقادهم بأنهم إذا خرجوا فسوف يقتلون، وبعد مرور ساعات؛سيكتشفون أنه لا يوجد أحد، وسيحاولون الهروب، وهكذا تنتهي خطتنا اتفقنا؟**

فأجابه رجاله:

- **اتفقنا يا شيخنا.**

غادر الشيخ وبيده الشيك تاركًا جلال وقد اشتعل غيظًا وغضبًا، وفي المغارة حدث جلال نفسه قائلًا:

- لأخرج من هنا أولًا، وسوف ترين يا ناردين ما الذي سأفعله بك، أقسم، لن أرحمك، سأوريكِ مقتل جميع أحبائك بعينيك ثم سأقتلك بيدي، انتظري، ستشاهدين الجحيم على الأرض.

في هذه اللحظات، دخل رجال الشيخ وهم ملثمون، ففكوا وثاقه، وفعلوا بالمثل مع رجاله بالمغارة المجاورة، ثم وضعوا أمامهم الطعام والقليل من الماء قائلين:

- **إننا بالخارج، من يفكر أو تسول له نفسه بأن يخطو خطوة واحدة خارج هذه المغارة تكون نهايته على الفور.**

خرج رجال الشيخ تاركين جلال ورجاله مذعورين في المغارات مغادرين الجبل، وسرعان ما اختفوا. بعد مرور ساعات، نادي جلال على أحد الرجال؛ فهو لساعات لم يسمع لهم صوتًا، أو يشعر بأي حركة، ظل ينادي بأعلى صوته؛ فلا أحد يجيبه، اقترب بحذر وترقب من بوابة المغارة مطلًا برأسه إلى الخارج؛ لينظر، فلم يشاهد أحدًا، نادي مرة أخرى، لكن لا مجيب، نفس الشيء فعله رجاله، لكنهم خرجوا قبله حينما أحسوا بأنه لا يوجد أحد حول المغارة؛ ففروا جميعًا مهرولين ناجين بحياتهم،لم ينظروا حتى إلى جلال وما أصابه، كان كل همهم هو إنقاذ أرواحهم، أما جلال فبعد أن نادى ولم يلبي أحد نداءه أخذ يتقدم ببطء، وحذر خارج المغارة يتقدم خطوة ويتراجع خطوات حتى خرج بالفعل؛ فنظر حوله لم يجد أحدًا، نادي على رجاله فلم يجيبه أحد، فخرج يجري مسرعًا في هيستريا حتى إذا ما أدرك بأنه لا يوجد أحد، واصل الجري مهرولًا ملتفتًا للخلف مترقبًا دون أن ينتبه على خطواته المسرعة تلك إلى أين تقوده؛ فإذا بها تقوده إلى حافة الجبل، إلى الهاوية، لا النجاة كما ظن، انتهت خطواته إلى حافة الجبل؛ فلم يستطع أن يتراجع أو يتمالك نفسه؛ فخانته قدماه، سقط من أعلى الجبل؛ ليهوى إلى

الأسفل قتيلًا، لينتهي بموته عذاب ناردين وخوفها إلى الأبد، ليخط القدر نهاية هذا المختل كما يستحق.

لم يكن بحسبان الشيخ حامد أو نور الدين أو نادرين هذه النهاية مطلقًا، ولكن كان للقدر حساباته؛ ليغلق صفحة الفزع والعذاب في حياة ناردين، ويفتح صفحة جديدة، يملؤها الحب والأمل والسعادة، لم تكن تتخيل بأن القدر سوف يهديها إياها يومًا ما. كان القدر كريمًا معها بشكل لم تكن تحسب له حساب، كان عوض الله جميل كجمال روحها.